فى الدين

أثر الدين والتدين فى النفوس

للعالم الفاضل الدكتور يحيى أحمد الدرديرى

إذا ما فتشنا عن علة العلل فى هم الانسان وغمه وحيرته واضطرابه فى الحياة نراها ترجع إلى جهله بربه وبنفسه أو بعبارة أخرى إلى ضعف إيمانه . فالانسان كثيرا ما تتنازعه الأهواء وتتحكم فيه الشهوات فتضله ويبقى متنازعا بين رغبة النفس والعجز عن تحقيق هذه الرغبة . وبين هاتين الحالتين يكون الاضطراب والغم .

ولكن لو علم الانسان أن له ربا قادرا قد أحكم نظام هذا العالم وضبطه بقوانين ثابتة وجعل النفس خاضعة لنواميس خالدة فأخذ فى دراسة هذه القوانين لهدى إلى صراط مستقيم وعيش رغيد . وأصبح هو والعالم وحدة متجانسة لا خلاف ولا شحناء ولا هم ولا كدر بل غبطة وسعادة . أيظن عاقل أن هذه الحياة التى خلقها الله عز وجل على أبدع نظام وأتقن فيها صنعة كل شىء من حيوان ونبات وجماد يتركها للانسان يعيث فيها كيف يشاء بدون وازع ؟؟ لتصور أن رجلا عاقلا بنى بيتا فخما وأثثه بأنفس رياش وأعده لسكنى . أيعقل أن يترك هذا البيت لكل ساكن يسكن ويفعل فيه ما يشاء وما يهوى ؟؟ لا يتصور ذلك بل لابد أن يقيم عليه حراسا ويضع له قوانين ليعرف كل ساكن ماله وما عليه وإلا فسد البيت وتهدم . فالله سبحانه وتعالى هو صاحب البيت العام أى هذه الدنيا . والحراس هم الأنبياء والرسل والعلماء والمتعلمون . وقانون السكن أو (الكونتراتو) هو دين الله سبحانه وتعالى . فلكى ينعم بهذه الحياة يجب أن يعرف قوانين الله والدين ويتبعها .

للدين أكبر أثر فى تهذيب النفوس وقيادتها إلى السعادة إذا ما تمسك الانسان بالعمل به لا لغرض الاحتراف والاتجار . وأساس الدين هو توحيد الله عز وجل وعدم الاشراك به وعمل الخير ما استطاع الانسان إلى ذلك سبيلا (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين(١)) — وحدانية الله الحقة تستلزم أن لا يقر الانسان بسلطان

١ — سورة فصلت

لاحد إلا الله عز وجل وأن لا يسأل ولا يعتمد إلا على الله سبحانه وتعالى . وهذه هي الحرية الحقة والعزة الرفيعة . قال عبد الله بن عباس :

كنت خلف النبي ﷺ فقال لي « يا غلام إني أعلمك كلمات . إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح) وهذا مما يفسر قوله تعالى : (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم(١)) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها (٢))

إذا كان من شروط الإيمان أن يؤمن الانسان بالقضاء خيره وشره فلا يتكل على ذلك ويهمل العمل ويسترسل في اتباع هوى نفسه . وليعلم الانسان أن من قضاء الله وحكمه العمل والسعي وجهاد النفس ومحاربة الباطل وعمل الخير كل هذا من قضاء الله ويجب العمل به ، قال تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى(٣)) و (كل نفس بما كسبت رهينة (٤)) .

رفع دين الاسلام معتنقيه إلى ذروة المجد وسيادة الأمم لأنهم تعلموا الدين وعملوا به ، قال عليه الصلاة والسلام : (تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يؤجركم الله حتى تعملوا) كان المسلمون في صدر الاسلام يحرصون الحرص كله على العمل بأوامر الدين فدانت لهم الأرض وخضعت لهم الأمم : حضر رجل إلى النبي ﷺ وقد أسلم فأراد أن يتعلم شيئا من القرآن فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه بتعليمه فعلموه فاتحة الكتاب ثم سورة الزلزال فلما أتى على آية (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) أراد أن يعلمه غيرها فأبى وقال : حسبي هذا حسبي (أي يكفيني هذا) فذهب الصحابي ورفع أمره إلى الرسول ﷺ فقال اتركوه فقد تفقه في الدين . أيتفقه في الدين بتعليم سورتين لا تزيدان على خمس عشرة آية ؟ نعم لأنه أراد أن يعمل بهما ويراقب نفسه مراقبة شديدة فيحاسبها على الكثير والقليل . وستعوده هذه المراقبة إلى أن يتعرف أوامر الله ونواهيه فيعود إلى دراسة القرآن الكريم .

كان المسلمون يتعلمون ليعرفوا ويعملوا لا ليعرفوا ويتاجروا كما هو الحاصل اليوم :

---

(١) يونس (٢) الحديد (٣) النجم (٤) المدثر

وكان الأساتذة يراقبون تلاميذهم ويتفقدون أحوالهم ويشجعونهم على حمل الصالح والنافع حتى تتعود نفوسهم على كبح جماح الشهوات وفعل الخيرات .

كان شقيق البلخي من كبار علماء زمانه ومن متصوفيهم وكان له تلميذ يسمى حاتما الأصم . فقال له شقيق منذ كم صحبتني ؟ قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة . قال فما تعلمت مني في هذه المدة ؟ قال . ثماني مسائل . قال شقيق له . إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل . قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وأني لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها . قال حاتم :

أولا — نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي . فقال الأستاذ أحسنت ياحاتم.

ثانيا — نظرت إلى قول الله عز وجل (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى(١)) فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله .

ثالثا — إني نظرت إلى هذا الخلق فوجدت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » (٢) فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظا (أي تصدق به)

رابعا — إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لا شيء . ثم نظرت إلى قول الله تعالى « إن أكرمكم عندالله أتقاكم »(٣) فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما .

خامسا — إني نظرت إلى هذا الخلق يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » (٤) فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني

سادسا — نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » (٥)

فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره

---

(١) — النازعات (٢) — النحل (٣) — الحجرات (٤) — الزخرف (٥) فاطر

سابعا — نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة يذل فيها نفسه ويدخل فيما لايحل له . ثم نظرت إلى قول الله تعالى « وما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها » (١) فعلمت إنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما على وتركت مالى عنده (وهذا هو الغناء فى أداء الواجب)

ثامنا — نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق . هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته . وهذا على صحة بدنه . وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قول الله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٢) فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبى .

قال شقيق ياحاتم : وفقك الله تعالى فانى نظرت فى علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة .

نرى فى المثل المتقدم كيف يكون تعليم الدين والنظر فيه والتدين بما جاء به مهذبا للنفس قائدا لها إلى الطريق المستقيم مبعدا بها عن التقاعس والاشتغال بالحقير من الأمور وكلما عمل الانسان بعلمه كلما ازداد ورعا وسموا على الشهوات وعلت نفسه إلى مصاف الأبرار والصديقين ففاز بالسعادتين . وعلى العكس كلما نزل الانسان إلى المادة واشتغل بشهواته زادت همومه وأحزانه . وضل سعيه وخسر الدنيا والآخرة . روى عن أبى عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم . قال:

دخلت مع حاتم إلى الرى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة . فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة ؟ فأنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل . قال حاتم :عيادة المريض فيها فضل ، والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك.

وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى . فلما جئنا إلى الباب فاذا قصر مشيد مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة . ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكرا .

ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة . فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه بن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس ، فقال لعل لك حاجة ، فقال نعم ، فقال وما هى ، قال مسألة أسألك

(١) هود (٢) الطلاق .

عنها ، قال سل . قال قم فاستو جالسا حتى أسألك . فاستوى جالسا . قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ فقال من الثقات حدثوني به . قال عمن ؟ قال عن أصحاب رسول الله ﷺ . قال ورسول الله ﷺ عمن ؟ قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل . قال حاتم : فقيما أداه جبرائيل عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك . هل سمعت فيه من كانت داره أشرف وكانت سعتها أكثر . كانت له عند الله عز وجل منزلة أكبر ؟ قال لا . قال فكيف سمعت ؟ قال سمعت أن من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له المنزلة عند الله . قال له حاتم فأنت ممن اقتديت ؟ أبالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين ؟ أم بفرعون ونمروذ وأول من بنى بالجص والآجر . ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه . وخرج من عنده . فازداد بن مقاتل مرضا . ألا « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

الدكتور يحيى احمد الزيدوري

« أقوال مأثورة في الزواج »

مثل الرجل الذي يحجم عن الزواج مثل الجندي الذي يفر من المعركة .

يشبه الزواج الحياة في أنه ميدان قتال لافراش من الورد .

الزواج يجعل للحياة نظاماً متيناً ولهذا النظام طلاوة محمودة .

الزواج ترتيب ضروري لقيام الهيئة الاجتماعية .

الزواج قاعدة الأمن العام لولاه لتكاثرت الشرور وسادت الفوضى .

الزواج يقوى الأخلاق ولا يضعفها .

عبد الباسط محمد المنوفي

ناظر مدرسة طنطا الابتدائية

سيدنا بلال

وقوة العقيدة

هل لى أن أتحدث عن شخصية من الشخصيات العالمية ، فتنت فى سبيل عقيدتها ، فلاقت من العذاب ألوانا ، ومن الاضطهاد صنوفا ، وجرب عليها من طرق الشدة ما لم يسمع بمثله ، وطوف بها حول الكعبة فى موكب ساخر صاخب لاغب من الصبية ، فلم ترضخ أمام الشدة ولم تخف من الوعيد ، كما لم يلفتها عن عقيدتها لين وترغيب !! ولد بلال من أب قرشى ، وأمة حبشية ، فنبذه أبوه ، فنشأ عبدا لأن عادة القوم حين ذاك ، كانت تقضى بأن من ولد له من أمة نشأ الوليد عبدا ، يباع ويشترى ، ولا ترتفع نفسه عن أن يرعى الماشية أو يخدم الخيل .

نشب عبدا لأمية بن خلف ، ولكن نفس بلال سودته ورفعت من شأنه عقليته ، فقد منح عقلا راجحا ، وفلبا رزينا ، وقوة فى المنطق ، وحلاوة فى السمر ، وخصه الله فوق ذلك رقة فى الصوت ، كانت تسحر القلوب وتخلب الألباب .

كل هذه الصفات مجتمعة ، حببت بلالا إلى سادته ، فرفعوه عن مراتب الخدم ، وخصوه برعايتهم ، فكان مطربهم وسميرهم ، وخص بلال فوق هذا برقة فى عاطفته كانت تحمله على أن ينتقد البائس ، ويعين الضعيف ، فكان عضوا فى جماعة من قريش يرأسها محمد بن عبد الله لهذا الغرض .

بعث محمد ﷺ إلى الناس رحمة ، ودعا سراً إلى ربه ، فآمن به أبو بكر وبلال ، أول المؤمنين .

لله هذا الاتفاق ؛ حر وعبد ، يؤمنان بدعوة الرسول أول المؤمنين ! انتشر أمر تلك الدعوة الجريئة ، وذاع أمر أولئك الذين هجروا عبادة اللات وأشباهها ، وآمنوا بذلك الإله الذى دعا إليه ذلك الرسول ، وذاع أمر بلال فمن ذاع أمرهم فاشتد إيذاء الكفار لمن أسلموا ، ولقى بلال من سيده أشد الإيذاء .

لقى أمية بن خلف مولاه بلالا فى بعض شعاب مكة ، فسأله : أحقا بلال قد استخفك محمد فصبأت وكفرت باللات والعزى ! فيجيبه : والله ما استخفنى محمد وما صبأت ، وإنما هدانى الله وأرشدنى رسوله ، فآمنت أنه لا إله إلا الله ..

وهنا تتجلى قوة العقيدة ، وهنا تستعذب التضحية فى سبيل المبدأ ويتجلى الإخلاص

بأجلى معانيه . وهنا يجب أن أنحنى إجلالا لهذا التفانى فى سبيل الحق والتمسك به .

يقول له سيده : ما للعبيد وتخير الأرباب ؟ يوم يكون لك أن تختار سيدك . فابرق بصرك إلى السماء . ولتفاضل بين الأرباب لقد أحسنا إليك . فجحدت جميلنا ، وخرجت على ديننا . فلتتركن هذا الدين ؛ وإلا فما أهون أن يراق دمك ؛ فيجيبه العبد : لا بأس بالموت ؛ فهو سبيل كل حى ، وهو أحب إلى من الضلال والكفر . . !

لقد تشجع العبد فأبدى زهادة فى الحياة ، ولكنه إن رأى السيف والعصى ، فسيرجع الهدى إلى عقله ، ولكن بلالا لا يزيد إلا عنادا وإصرارا . وتمسكا بدينه ومعتقده ! !

وثارت ثورة أمية ، فأمر بالعبد إلى الموت . فيمضى بلال هادىء النفس مطمئن القلب يتلقى الموت ، وثغره باسم ، ونفسه راضية ، يردد قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ! !

فيأخذ العجب أمية . ويأمر خدمه أن يمسكوا عن قتله . ويعود إليه . يأخذه بالوعد تارة وبالوعيد أخرى . وكأنما يضرب فى حديد بارد ! فيفرغ صبره . ويأمر به أن يعرى من ثوبه ويلبس درعا من حديد ، ويلقى فى صحراء مكة ، تحت شمسها المحرقة فيحمى الدرع . ويكوى جسده ، وبلال صابر . فإذا قالوا له : أترك دينك ، وعد إلينا نرفع عنك العذاب . نادى بصوت المطمئن المؤمن : « أحد . أحد . إنما هو الله أحد » فيأمر أمية بالعبد فيشوه ويلبس أخزى الثياب . ويقاد برشاء فى عنقه . ويعطى للصبية يطوفون به حول الكعبة . وبه يلعبون ، وكانت تلك التجربة أقسى مامر على بلال . ولكنه الإيمان يحلو فى سبيله المر . ويلذ له الألم . ولكنها العقيدة . يهون فى سبيلها كل تضحية . مع هذا كله ينادى بلال بصوت حنون حزين : « أحد أحد . إنما هو الله أحد » .

شعر أمية بقوة عقيدة العبد . وعجزه عن رده إلى دينه بعد أن سقاه كؤوس العذاب وجرب عليه شتى التجارب . وأخذ أبو بكر يسعى لينقذ أخاه فى الدين مما هو فيه فاشتراه وأعتقه فأصبح الجسد حرا . كما كانت النفس حرة . وكما كانت الروح منطلقة .

لله هذه النفس الكبيرة . المملوءة عزة وإباء . المتشبعة بالعقيدة والإيمان . المستعذبة العذاب والمذلة . فى سبيل هذه العقيدة وذلك الإيمان .

عبد المنعم عبد الشافى

المدرس بمدرسة زفتا الابتدائية

الدين والعلم

أتاك المرجفون برجم غيب على دهش وجئناك اليقين

تفتحت أكمام العقل البشرى — منذ وجوده — عن قوة خفية تقسر الانسان على الاذعان لقاطر السموات وتقيء به — رغم أنفه — إلى ظلال منشيء الكائنات. تحتمي بجناه وتهتدى بهداه.

تلك القوة الخفية هى ما تجادل عنها بعض العقول فى هذه العجالة — وعلى ضوء العلم وهدى الفلسفة — نمضى فى هذه السبيل الوعرة الشائكة. وفى الوقت لا نصدع العقائد ولا نصدم الفطرة ولا ننكر البداهة

إن كثيراً من الأشياء التى نمر بها على أنها حقائق ثابتة مقررة لا تلبث أن تذوب فى بوتقة البحث والتمحيص فوق أتون المقابلة والاستقراء.

فأنا حين كتابة هذه الكلمة جالس إلى منضدة فى غرفة يضيئها مصباح مضاء بالبترول — هذه المنضدة عليها قلم ومحبرة وبعض الأوراق — وعلى يسارى نافذة أطل منها على أشياء كثيرة من إنسان وحيوان ونبات وقر ونجوم وسحاب — بالطبع لو دخل على غرفتى إنسان (رأى تلك المنضدة كما أراها أنا ولاحس بوجودها مثل ماأحس — فهى مثلا تبدو لعين مستطيلة الشكل قاتمة اللون قائمة على أربع قوائم ولا مرية فى أن كل من رآها يوافقنى على ذلك ولكن إذا قمت من مكانى وابتعدت عن المنضدة قليلا أخذتها كلها ذات لون واحد تحت ضياء المصباح المعكوس عليها — لا — بل إن أجزاءها ستظهر فى ألوان كثيرة وحمية متباينة حسب قرب الضوء منها وبعده عنها وعلى ذلك فاذا كان ثمت عدد من الناظرين ينظرون إلى تلك المنضدة فى وقت واحد من نواح مختلفة فلا يمكن أن يرى أيهم نفس مايرى غيره نفس مايرى الباقون لأنه لايمكن أن يرى اثنان منهم نفس توزيع الضوء على المنضدة من نقطة واحدة لأن الاختلاف فى نقطة النظر يلازمه اختلاف فى توزيع الضوء على سطح المنضدة المنظور إليه.

من هذا يتضح لنا أنه لايوجد لون للمنضدة يطابق الحقيقة أكثر من غيره وليس ثمت ما يرجح لنا أن هذا اللون أكثر مطابقة للحقيقة من ذاك.

وإذن فالحال تفضي بنا إلى الشك في حواسنا والارتياب فيما تتلقاه أنه حقائق لاريب فيها .

ولعل المتابع للحركة العلمية لاينكر علينا وجود كثير من الحقائق العلمية في ميدان العلم برهانها قائم على زيغ الحواس ومخالفة المظهر للحقيقة — وهل العلم في مظهريه — القديم والحديث — قائم الأساس إلا على الحواس ؟

وإذن فلنجر العلم من أذنيه ليدلنا على حقيقة المنضدة التي اتخذناها مثلا في هذا البحث ولنستخدم وسائله فيما عساه يكشف لنا عما وراء تلك القامة القائمة التي لايقوى النظر المجرد على اختراقها وتمتد يدنا إلى « ميكر سكوب » ونرفعه إلى إحدى عينينا ونحني قليلا لنواجه به سطح المنضدة — فماذا نرى ؟

ألسنا نرى شعابا وهضابا ووهادا وأنجادا وتجاويف وتلافيف ... هي جماع تلك المادة التي تكون منها ذلك السطح في ذراته الأولى — هنا لكنا الدهش ونتساءل حائرين : ماهو الصدق في حقيقته ؟ ماأراه بالعين المجردة أم ماأراه بواسطة « الميكر سكوب » ؟

لاشك أننا نميل إلى تصديق مارى «بالميكرسكوب» لامارى بالعين المجردة — ولكن هل ماأراه « بالميكرسكوب » هو الحقيقة الثابتة التي لاتتغير المنضدة ؟ في حين أننا نعرف أننا لو أستخدمنا « ميكرسكوبا » أقوى لتغيرت تلك الحقيقة التي كانت تبدو للعين المجردة ناعمة ملساء تحت الأنامل المارة بها — فاذا كنا لانصدق مارى بالعين المجردة فلماذا نصدق مارى « بالميكرسكوب » وليس ثمت مايرجح التصديق .

وكذا نقول في كل المدركات الحسية وعلى هذا فالحواس تعجز عن إعطائنا الحقائق الثابتة فهي فقط تعطينا فكرة عن مظهر الأشياء لا أكثر ولا أقل .

ذلك إلى علمنا أن العلم متقلب متغير لايثبت على حال ولا يقف إلى غاية — فكثير من الحقائق العلمية التي درج الناس عليها منذ قرون وفرغ العلم من الجرهنة عليها في عصور مضت لم تقو على أن تصمد لمبضع الجراح على مشرحة البحث .

ولانحب أن نكلف ذهن القارئين بجميع الأدوار التي مرت بها سلسلة المعارف البشرية ولا أن نحيله على دفائن الكتب وسجل الأبحاث العلمية منذ أن بزغت شمس الفلسفة في سماء اليونان وأشعلت جذوتها ماخيا من العقول في ظلمات القرون الأولى .

فبين يدي تلاميذ المدارس الأولية هندسة « إقليدس » تقرر أن المستقيم هو أقرب بعد بين نقطتين ثابتتين وأنه لايمكن أن نقيم من نقطة واحدة من المستقيمات المتوازية سوى مستقيم واحد فقط وأن مجموع الزوايا الداخلة للمثلث تساوي قائمتين في حين أن « إينشتين »

الرياضي المعروف يقدم برهانه على أن المنحنى هو أقرب بعد بين نقطتين وأنه لا يعرف شيئاً يسمى « بالمستقيم » .

وأن « لوبتشفسكي » يبرهن على أنه من نقطة واحدة يمكن أن تقيم عدة مستقيمات متوازية .

وأن « ريمان » يبرهن على أن مجموع زوايا المثلث الداخلة تساوى أقل من قائمتين .

ومن الغريب أن البراهين كلها فى درجة واحدة من القوة والمعقولية — فاذا كان هذا فى الرياضة وهى من أقوى الحقائق أدلة فكيف بالأخرى ؟.

أذكر أنى قرأت فى بعض المجلات العلمية أن أحد علماء « دار الرصد » بألمانيا مستعد أن يراهن على مبلغ طائل من يستطيع أن يقيم له البرهان الذى لا شبهة فيه على أن الأرض تدور حول الشمس فلم نستغرب ذلك فان « هنرى پوانكاريه » الرياضى الفرنسى يقول ، إننا لانستطيع أن نثبت أى الفكرتين أصح تمثيلا للواقع دوران الأرض حول الشمس أم دوران الشمس حول الأرض ؟

فكيف نسلم إذن أن يتناول الدين على أنه علم وهو يجرى فى دائرة محدودة مسورة بأسوار الحواس والحواس كما تقدم زائفة متراجمة والعلم متقلب متغير غير مستقر ويعجبنى فى هذا الباب برهان صادق للأستاذ الفاضل مصطفى صادق الرافعي بسطه فى كتابه القيم « تحت راية القرآن » فقال :

« إن هناك حقيقتان تعلوان بالدين علواً كبيرا حتى يجاوز مدى العلم ومدى العقل — الأولى — أن العقل لا يدرى كيف يعقل ولا كيف يفهم وما العلم بأعلم منه فى ذلك فمجمل هذه الخارقة المجهولة هو الدليل على وجودها وهى بعد معرفة غير معروفة .

الثانية — أننا نخضع لنواميس كثيرة متضاربة لايعرف العقل ولا العلم كنهها ولكن مايقع من آثارها هو الدليل على وجودها وهى كذلك معرفة غير معروفة .

فليس مع هاتين الحقيقتين ما يمنع العلم والعقل أن يخضعا للدين وما الدين إلا إقرار الالهية والاستدلال عليها ببعض آثارها وهى بعد معرفة غير معروفة بذاتها.

والعلم لا يكشف عن شيء إلا اعتلك سراً من أسرار الطبيعة ولا يبين عن سر إلا أوضح ضرباً من ضروب الكمال فى الخليقة والكمال دليل على المبدع والابداع الالهى إعجاز للعقل وإعجاز العقل وسيلة الايمان الصحيح » على يقيننا بصدق هذا الكلام لا يمنعنا من السير والعلم إلى آخر الشوط . وتطبيق أحدث نظريات الفلسفة الحديثة على الدين لنرى أيهم أشد وأقوم قيلا .

إن تاريخ أسلوب الفكر العلمي مر فى ثلاثة مذاهب متباينة : « ١ » المذهب الآلى «٢» المذهب الحيوى «٣» المذهب الروحانى :

وخلاصة الأول تفسير جميع الظواهر الحيوية بالتفاعل الكيماوى بين جزئيات المادة
وخلاصة الثانى تفسير تلك الظواهر بافتراض قوى مندمجة فيها ولا تستحيل إليها .
وخلاصة الثالث : افتراض روح عاملة شاملة تسير الكون على مقتضى نواميس ثابتة لا تتغير .

وقد مكنت هذه المذاهب حينا فى أحشاء الفكر الانسانى حتى تمخض عن قانون « الدرجات الثلاث » الذى ابتدعه « أوغست كانت » فهال لذلك الماديون وصفقوا وأخذوا يقيسون عليه ويعلون به وكلما انهار بنيانه أو تصدع أساسه راحوا يرممونه بتعللات وافتراضات لم تلبث أن تذروها الرياح

على أن هذا المسلك الوعر الذى انساق إليه الماديون لم يستطع أن يصف قدميه فى الميدان ويواجه قذائف الاعتراضات المسددة إليه من جهاته الست .

وتسيطر الآن على معظم الدوائر العلمية الحديثة فكرة الرجوع إلى القوى الروحية فى تعليل وحدات الطبيعة الأساسية وتكوين خصائصها على الاعتقاد بأن الكون خالقا مدبرا حكيما مختارا يسيره على مقتضيات نرى أثرها ولا ندرك كنهها ونؤوب بالانسان إلى « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

وإذا علمنا فى أحدث ما انتهى إليه العلم الحديث أن جوهر الوجود الأقصى هو « الاشعاع » ازددنا يقينا بالدين الاسلامى فى القرآن الكريم « الله نور السموات والأرض » .

وأن أحدث النظريات فى فناء العالم هى : تحوله إلى إشعاع ينتشر ليتكاثف مرة أخرى على أبعاد شاسعة فى مكان سحيق ليتحول إلى مادة أخرى تيقنا الاعجاز الالهى فى الآية الكريمة : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » .

وبعد فهذه كلمة دفعتنا إليها العجلة نحاول بها أن نكون قد وفقنا إلى اتجاه حديث فى دراسة الدين .

وفى الوقت نفسه نعتذر عن تلك العجلة التى ألجأتنا إلى الايجاز والتلميح دون البسط والتصريح فأن ظروفا قاهرة قد اضطرتنا إلى ذلك .

على أننا نرجو أن نوفق إلى تفصيل ما أجملنا فيما بعد .

« والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

كفر الزيات — محمد الصاوى عمار